القول الحسن في القرآن الكريم -دراسة تفسيرية موضوعية

د/ محمد أحمد مصلح الوعيل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد –جامعة إب
Aljmalybrahymmhmd@gmai.com

الملخص

10

يحتوي البحث على تعريف القول الحسن و مرادفاته .

وبيان مكانته وضوابطه ، ونماذج للقول الحسن في خطاب المولى (سبحانه وتعالى) لعباده ، وفي خطاب الأنبياء (عليهم السلام)، وفي حسن القول مع المخالفين .

كما يحتوي على ذكر بعض ثمار القول الحسن في تحقيق الأخوة ونبذ الفرقة ، والاستجابة ، وهزيمة الشيطان وجنده، ومحبة الله للمحسنين والثواب المترتب على إحسانهم في الدنيا والآخرة .

مع بيان أهم نتائج البحث وتوصياته.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته أجمعين:

أما بعد: فإن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته ، والعبادة في الإسلام هي نهاية الخضوع وقمة الشعور بعظمة المعبود ، وهي مدارج الصلة بين المخلوق والخالق ، كما أنها ذات آثار عميقة في التعامل مع خلق الله ، وتستوي في ذلك أركان الإسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وسائر الأعمال التي يبتغي بها الإنسان وجه الله ويتحرى شرعه ، ومناط التعامل ومداره بين العباد قائم على القول الحسن فإن وجد استقامت حياتهم وحسنت تعاملاتهم وحصل المقصود الذي لأجله شرع الله الشرائع .

هذا ما سأبينه في هذا البحث الموسوم بعنوان :(القول الحسن في القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية)

أهداف البحث :

١ - تعويد اللسان على حسن القول وطيب الكلام.

٢ - ضبط الانفعالات النفسية تجاه المواقف والأحداث.

٣ - التسابق نحو توسيع دائرة المحبة والوئام بين أفراد المجتمع.

٤ - تسلح الدعاة إلى الله تعالى بحسن القول مع تعدد وسائل الاتصال.

مشكلة البحث :

تمثلت مشكلة البحث في بيان ضرر سيادة ظاهرة الغلظة والجفاء والفحش في القول على مستوى الأفراد والجماعات مع أن دعوة الإسلام قائمة على اليسر ودفع المشقة بكل صورها ، وانحسار مفهوم التعبد على الظواهر الشكلية دون التعمق في مفهوم التقوى ومراقبة الله في القول والعمل .

الدراسات السابقة :

وقف الباحث على بعض المقالات والدراسات التي تحدثت عن القول الحسن عموماً منها : دراسة الدكتور/ سلمان حسين موسى الزين ٢٠١٤م ، الدلالات التربوية للقول الحسن في ضوء الكتاب والسنة ، دراسة تحليلية ، اعتمد في الغالب على استنباط الدلالات من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، دراسة تربوية .

أما موضوع الدراسة موضوع البحث(القول الحسن في القرآن الكريم) فهي دراسة تفسيرية موضوعية تختلف من حيث المحتوى والأسلوب والمنهج ، ومع ذلك فالموضوع بحاجة إلى طرقه بأساليب وصور متعددة لأهميته البالغة في الحياة العملية .

منهج البحث :

سلكت في البحث المنهج الاستقرائي لآيات القرآن الكريم ثم اعتمدت على المنهج التحليلي الوصفي لنماذج القول الحسن وما هيته ، وثماره التي اشتمل عليها البحث .

خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة.

المبحث التمهيدي الأول :

المطلب الأول : التعريف والمرادفات.

المطلب الثاني : مكانة القول الحسن.

المطلب الثالث : ضوابط القول الحسن.

المبحث الثاني : نماذج للقول الحسن في القرآن الكريم :

المطلب الأول :القول الحسن في خطاب المولى تعالى لعباده.

المطلب الثاني :القول الحسن في خطاب الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثالث :القول الحسن مع المخالفين.

المبحث الثالث : ثمار القول الحسن :

المطلب الأول :تحقيق الأخوة ونبذ الفرقة.

المطلب الثاني :الاستجابة وسرعة الانقياد.

المطلب الثالث :هزيمة الشيطان وجنده.

المطلب الرابع : محبة الله للمحسنين وجزيل مثوبتهم.

الخاتمة : وفيها خلاصة البحث وأهم النتائج.

المطلب التمهيدي (الأول)

التعريف والمرادفات

أولاً:التعريف :

يطلق القول والكلام واللفظ من حيث أصل اللغة بمعنى (واحد) لكن القول اشتهر في المفيد بخلاف اللفظ ،واشتهر الكلام في المركب من جزئين فصاعداً ،ولفظ القول يقع على الكلام التام وعلى الكلمة الواحدة على سبيل الحقيقة.[1]

ويتبين من هذا أن القول لا يكون حسناً إلا إذا كان مفيداً يراد به اليقين لا الظن.

والإحسان : ضد الإساءة يقال رجل محسنٌ ومِحسانٌ ،والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ[2].

ومنه قوله تعالى :((وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِٱلسَّيِّئَةَ)) {الرعد: ٢٢} أي يدفعون من أساء إليهم بقول أو فعل بالإحسان إليه.[3]

والقول الحسن كما يرى الباحث : هو القول الذي يستحسنه ذووا العقول الراجحة والفطرة السليمة ، ويتحقق به صلاح القلوب وسلامة الصدور وطيب النفوس.

ثانياً: مرادفات القول الحسن :

١ - القول اللين : الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال بأن يظهر المتكلم للمخاطب أنه له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله.

فشبه الكلام المشتمل على المعاني الحسنة بالشيء اللين.

واللين ،حقيقة من صفات الأجسام ، وهو رطوبة ملمس الجسم وسهولة ليه.

وضد اللين الخشونة ، ويستعار اللين لسهولة المعاملة والصفح ، واللين من شعار الدعوة إلى الحق[4] يقول تعالى آمراً موسى وهارون عندما أرسلا إلى فرعون :((فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)) {طه:٤٤}

---

[1] -الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي، ١٨/٤.

[2] -لسان العرب ، مادة (حسن)ج١٣/١١٧.

[3] -ينظر : تفسير الطبري ، ج١٣/٣٧٥ ، تفسير السعدي ص٤١٧.

[4] -تفسير ابن عاشور ، ١٦/٢٢٥ .

٢ - الكلم الطيب :الطيب خلاف الخبث ، والطيب من كل شيء أفضله والطيبات من الكلام أفضله وأحسنه. [١] ومنه قوله تعالى:((إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ)) {فاطر:١٠} من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل ، وكل كلام حسن طيب فيرفع إلى الله ويعرض عليه ، ويثني الله على صاحبه بين الملأ الأعلى. [٢]

وقد فسر القول الطيب بالقول الحسن في قوله تعالى:((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة:٨٣} أي قولوا لهم القول الطيب وجاوبوهم بأحسن ما يحبون. [٣]

٣ - الأدب : المتأمل في تعريف أهل العلم لعلم الأدب والمتضمن لقواعد علم اللغة من نحو وبلاغة..... يجدهم يعرفونه بما ينطبق على القول الحسن.

قال ابن القيم : هو الكلام الجميل الذي يترك في نفس سامعه أو قارئه أثراً قوياً يحمله على استعادته والاستزادة منه والميل إلى محاكاته. [٤]

٤ - النصيحة: قال ابن الأثير :(النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له. [٥]

وهي طريقة الأنبياء ووسيلتهم في الدعوة قال تعالى إخبارا عن نوح عليه السلام:((أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ)){الأعراف:٦٢} أي وأتحرى ما فيه صلاحكم قولاً وفعلاً، وقيل:(أبلغكم أوامر الله ونواهيه، وأرغبكم في قبولها ، وأحذركم عقابه إن عصيتموه). [٦]

وقال تعالى عن هود عليه السلام وهو يدعو قومه:((أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)){الأعراف:٦٨} .

---

[١] -لسان العرب ،ج١،ص٥٦٤ -٥٦٦،بتصرف.

[٢] -تفسير السعدي ، ص٦٨٥.

[٣] -تفسيرالألوسي ، ٤١٩/١.

[٤] -تهذيب مدارج السالكين ،لعبدالله بن علي، ص٤٤٨.

[٥] -لسان العرب ، مادة (ينصح) ٦١٦/٣.

[٦] -تفسير الألوسي ، ١٢٥/٨.

المطلب الثاني

مكانة القول الحسن

القول الحسن هو خطاب القرآن لبناء حضارة راقية تقوم على مبدأ التكافل والتعاون والبر .

ويشمل مجالات الحياة كلها ،عقيدةً ،وعبادةً ،وأخلاقاً ، ومعاملات ، نظماً وأحكاماً ، قوانين وتشريعات ، قيماً ومثلاً ، عادات وتقاليد ، أعرافاً وموازين.

والقارئ للقرآن الكريم يجد أنه قد ورد فيما يقرب من نصف القرآن الإشارة إلى القول الحسن أو الفعل الحسن والجزاء الحسن.

ومما ورد في بيان مكانة القول الحسن والحث عليه قوله تعالى:((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة:٨٣} أي قولاً حسناً وسماه به للمبالغة.

يقول الفخر الرازي:(قال أهل التحقيق : كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية ، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفساق ، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون :((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)) {طه:٤٤} أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى.

وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر ، قال تعالى:((ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ)) {النحل:١٢٥} وقال:((ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ)){فصلت:٣٤} .

وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه.

فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى:((وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)) {البقرة:٨٣})[1]

ولأن القول الحسن القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به .أما الإحسان الفعلي قد يتعذر فعله كما في قوله تعالى:((وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا)) {الإسراء:٢٨}

[1] -التفسير الكبير : المجلد١،ج٣/٥٨٩.

فتبين هذه الآية أن العاطي إذا لم يجد ما يعطي المحتاجين فلا أقل من ردهم بالقول الجميل((فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا)) قل لهم قولاً ليناً تطيب به نفوسهم وعدهم وعداً جميلاً.[1]

والقول الحسن داعٍ لكل خلق جميل ،وعمل صالح ، فإن من ملك لسانه ملك جميع أمره .

ولذا يجب ترويض اللسان على معاني الخير والنصح وتجنب سفاسف الأمور.

أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله؟ وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :((ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم يوم القيامة إلا حصائد ألسنتهم))[2]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ،لا يلقي لها بالاً ،يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ،لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم))[3]

وكان أبو بكر رضي الله عنه يضع حصاة في فيه ، يمنع بها نفسه عن الكلام وكان يشير إلى لسانه ويقول:(هذا الذي أوردني الموارد)[4]

وقال الشاعر:

عود لسانك قلة اللفظ واحفظ كلامك أيما حفظِ
إياك أن تعظ الرجال وقد أصيحت محتاجاً إلى الوعظِ[5]

---

[1] -أيسر التفاسير ،لأبي بكر الجزائري ، ج١/ ١٤٠ .

[2] -سنن الترمذي ، أبواب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ١٢/٥ ،رقم(٢٦١٩) ،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(١١٢٢) وفي صحيح الجامع رقم (٢٠٥).

[3] -أخرجه البخاري ، باب حفظ اللسان ،٢٠٣٢/٤، رقم (٦٤٧٨).

[4] -إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ١٢٠/٣.

[5] -أدب الدنيا والدين ، للماوردي، ص٨٥.

المطلب الثالث

ضوابط القول الحسن

١ -أن يكون بعيداً عن التكلف ، يقول تعالى:((قُلْ مَا أَسْلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ)) {ص:٨٦}

والتكلف هو: التصنع في القول وهو ضد التيسير والتبشير الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عندما أرسلهما إلى اليمن فقال لهما:((بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا))[١]

ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((هلك المتنطعون)) قالها ثلاثاً.[٢]قال النووي :(المتنطعون) أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.[٣]

قال الخطابي: المتعمق في الشيء ، المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام ، الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.[٤]

جاء في البيان والتبيين :(إذا أردت أن يكون كلامك مقبولاً قصداً خفيفاً على اللسان سهلاً فابتعد عن التوعر[٥] فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك.

تأمل قول ابن السماك الزاهد وقد قال له أخ في الله : الميعاد بيني وبينك غداً نتعاتب فقال له: بل الميعاد بيني وبينك غداً نتغافر) [٦].

٢ - أن يقترن القول بالعمل مصداقاً لقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَالَا تَفْعَلُونَ(٢)كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَالَا تَفْعَلُونَ(٣)))[٧]{الصف:٢،٣}

فهذه الآيات تبين أنه لا يكون للقول أثر دون أن يترجم إلى واقع عملي ، لأن البشر مفطورون على متابعة الخير إذا رأوه معروضاً أمامهم في قدوة عملية تلتزمه قولاً وتطبقه سلوكاً.

---

(١) رواه البخاري ، الفتح ، ٤٣١٨/٨ ،ومسلم رقم (١٧٣٣)

(٢) رواه مسلم ، كتاب العلم ، ٢٠٥٥/٤ ، رقم (٢٦٧٠)

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، ٢٢٠/١٦ .

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد عبدالوهاب ، ص٣١٨.

(٥) التوعر : الجفاء والغلظة . لسان العرب ،٦٢٠/٤

(٦) الرائد ، دروس في التربية والدعوة ، لمازن عبدالكريم الفريح ١ / ٦٧

ولنا المثل الأعلى في النبي صلى الله عليه وسلم فعندما نهى عن الربا لم يكتف بالقول بل قرن نهيه بالفعل والتطبيق على نفسه وأهل بيته فقال:((وأول ربا أضعه ربا عمي العباس ، وأول دم أضعه دمنا دم ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب)) [1] وقال حين شفع في حد السرقة:((وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)) [2]

وقال الحكماء : أفضل العلم وقوف العالم عند علمه ، وكل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله ، فقل سديداً ، وافعل حميداً) [3]

ولله در ابن القيم حيث قال :(إن الناس قد أحسنوا القول فمن وافق قوله فعله فذاك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فذاك إنما يوبخ نفسه) [4]

٣ - أن يراعي المخاطبين حسب ما يقتضيه المقام . فالمتأمل في خطاب القرآن الكريم يجد أنه يخاطب المشركين غير خطاب أهل الكتاب ، ونرى خطاب الله تعالى للمسلمين يختلف من مرحلة إلى أخرى.

ففي مكة كانت كل نداءات القرآن بـ(يا أيها الناس) ، (يا بني آدم) ، و(يا أيها الإنسان) أما في المدينة المنورة بعد أن أصبح للمسلمين دولة وباتت لهم جماعة فناداهم بنداء جديد بـ(يا أيها الذين آمنوا).

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي في قوله المخاطبين ، والأدلة على ذلك كثيرة فقد جاءه رجل وقال له : يا رسول الله أوصني فقال :((لا تغضب)) وجاءه رجل آخر فطلب منه نفس الطلب فقال:((قل آمنت بالله ثم استقم)) [5]

فهو هنا راعى تغير الشخص في خطابه ، إذ رأى حاجة الأول لأن يسكن من غضبه ويحد منه ، ورأى في الآخر حاجة لأن يعمق إيمانه بالله ويستقيم على طريق الهداية.

إن الداعي في قوله يحسن به أن يكون كالتاجر الذي يعرض تجارته ، يختار الوقت والزمن الملائمين ويخاطب العقول بما يلامس أوتارها ويحرك كوامنها.

يعرف من يخاطبهم وكيف يخاطبهم ؟ وماذا يقدم معهم ؟ وماذا يؤخر ؟ وما القضايا التي يعطيها أهمية وأولوية قبل غيرها ؟ وما الأفكار التي يطرحها ويبدأ بها ؟

---

[1] -مسند أحمد ، ٧٣/٥.

[2] -رواه البخاري ، باب كراهية الشفاعة في الحدود إذا رفع إلى السلطان ، ١٦٠/٨، رقم ٦٧٨٨.

[3] -المستطرف في كل فن مستطرف ، لبهاء الدين محمد بن أحمد الأشبهي ، ص٣٠ -٣٤ .

[4] -بدائع الفوائد ،لابن قيم الجوزية،ص١٩٢.

[5] -مسند أحمد ، ١٤١/٢٤ ، رقم ١٥٤١٦.

المبحث الثاني

نماذج للقول الحسن في القرآن الكريم

القرآن الكريم بما حواه أحسن الكلام وأبلغه فهو قول من أحاط بكل شيء علماً ، وهو كتاب هداية وإرشاد ، ونستعرض في هذا المبحث بعض نماذج القول الحسن في القرآن الكريم في مطالب ثلاثة :

المطلب الأول : القول الحسن في خطاب المولى تعالى لعباده.

المتأمل في خطاب الله عز وجل لعباده _وهو صاحب الكبرياء والجبروت والعظمة_ يجده شمل الحسن والجمال كله.

قال جل وعلا :((ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا)){الزمر:٢٣}

يقول الآلوسي : ((الله نزل أحسن الحديث)) هو القرآن الكريم ، وكونه حديثاً بمعنى كونه كلاماً محدثاً به ، وهو حسن في لفظه و أسلوبه ومنزه عن النقص.[1]

ويجب التأسي بمنهج القرآن الكريم في حسن الخطاب حتى مع ألد الأعداء _ وليس ألد من الشيطان عداوة_ فماذا فعل رب العزة والجلال ؟ حاوره وأجابه إلى طلبه حينما طلب الإمهال فأمهله يفعل ما يشاء ، بعد أن حذره من سوء العاقبة وسوء المآل .

وحينما أرسل رسوله موسى عليه السلام إلى فرعون وهو الجبار المتأله ... أرسله بآيات وكرامات ومعجزات ودعوة بالحسنى وقال لموسى وأخيه هارون:((فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ)) {طه:٤٤} .

وأرشد المولى سبحانه وتعالى عباده بأن يقولوا القول الحسن في محاوراتهم ومناظراتهم مع مخالفيهم حتى وإن كانوا على حق وغيرهم على خلافه وبيان الحجة بأجمل الأساليب يقول تعالى:((قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهِ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ(٢٤)قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ(٢٥)قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ)) {سبأ:٢٤ -٢٦}

ففي هذه الآيات إرشاد من الله عز وجل إلى أسلوب المناظرة الحكيمة وأثر القول الحسن ، لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا القول خطأ ، أو أنت مخطئ فإن ذلك يغضبه فيفوت الغرض.

---

[1] تفسير الآلوسي ٢٣/٣٣٩.

وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك في أنه مخطئ والتمادي في الباطل قبيح والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز فإنه يجتهد ذلك الخصم في النظر ويترك التعصب وذلك لا يوجب نقصاً في المنزلة ، ولا تنازل عن الحق ولا شك فيه ، ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج ووصف الحال أوضح من لسان المقال.[1]

ومن نماذج القول الحسن في خطاب المولى سبحانه وتعالى _ وفيه إرشاد للأمة_ العدول عن الألفاظ التي لا يستحب ذكرها مباشرة إلى الكناية عنها ، ومن ذلك قوله تعالى :((أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَاشِرُوهُنَّ ...الآية)) {البقرة:١٨٧} فقد كنى بالرفث والمباشرة عن الجماع.

وقوله تعالى:((نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ)){البقرة:٢٢٣} فعبر عن الإتيان بالحرث لأنها مناسبة وإخصاب وتوالد ونماء ، ومادام حرثاً فأتوه بالطريقة التي تشاؤون ، ولكن في موضع الإخصاب الذي يحقق غاية الحرث.[2]

والمتأمل في ذلك يلمس سمو الألفاظ وجمال التعبير وإرشاد للإنسان في اختيار أحسن القول وأعف الكلمات وأسماها والترفع عن سفاسفها وأدناها.

المطلب الثاني

القول الحسن في خطاب الأنبياء عليهم السلام .

عرض القرآن الكريم منهج الرسل في الدعوة القائم على حسن الخطاب ومن يستعرض ذلك الخطاب يجده مقرون بالأدب قائم به سواء مع ربهم (جل وعلا)أو مع أقومهم.

وقد ذكر بن القيم أمثلة على حسن خطاب الأنبياء مع ربهم منها :

قول الخليل إبراهيم عليه السلام :((ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ(٧٨)وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ(٧٩)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)) {الشعراء:٧٨ -٨٠}ولم يقل :((وإذا أمرضني)) حفاظاً للأدب مع الله.

---

[1] ينظر : التفسير الكبير ، الرازي ، ٢٠٥/٢٥. تفسير السعدي : ص٦٨٠. تفسير البغوي ، ٦ /٣٩٩

[2] ينظر : الكشاف ، للزمخشري ، ٢٦٥/١. تفسير الألوسي ٢٧٠/٥٠. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٢٤٢/١ .

وعيسى عليه السلام قال لربه :((إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ)) ولم يقل :((لم أقله)) ، وفرق بين الجوابين في حقيقة الأدب ، ثم أحال الأمر على علمه سبحانه وتعالى بالحال وسره فقال:((تَعْلَمُ مَافِى نَفْسِى)) ثم برأ نفسه عن علمه بغيب ربه وما يختص به سبحانه ، فقال:((وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ)) ثم أثنى على ربه ووصفه بتفرده بعلم الغيوب بأكملها ، فقال :((إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ)).{المائدة:١١٦}

وموسى عليه السلام في دعائه لربه وإظهار حاجته وهو في طريقه إلى مدين كان في غاية اللطف :((رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ)){القصص:٢٤} ولم يقل :(أطعمني)

وقول آدم عليه السلام :((رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)) {الأعراف:٢٣} ولم يقل :(رب قد قدرت علي وقضيت علي)

وقول أيوب عليه السلام:((أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)){الأنبياء:٨٣} ولم يقل:(فعافني واشفني).[١]

تلك نماذج من خطاب الأنبياء مع ربهم ، أما خطاب الأنبياء مع أقاربهم وأقوامهم ما يلي:

قول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته:((هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ)) {يوسف:١٠٠} ولم يقل:(أخرجني من الجب) حفظاً للأدب مع إخوته ، أن لا يخجلهم بما جرى في الجب.

وقال :((وَجَاءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ)) ولم يقل :(رفع عنكم جهد الجوع والحاجة) أدباً معهم ، وأضاف ما جرى إلى السبب ولم يضفه إلى المباشر الذي هو أقرب اليه منه فقال:((مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِى)) فأعطى الفتوة والكرم والأدب حقه.[٢]

وفي موقف هود وصالح عليهما السلام نموذج للخطاب اللين وإقامة الحجة على قومهما بأجمل الأساليب.

وكان الشعبان يقطنان الجزيرة العربية ، فقوم هود في الجنوب بالأحقاف بين اليمن وعمان وقوم صالح في الشمال بمدائن الحجر بين تبوك والمدينة.[٣]

وقد ذكرت دعوتهما في عدد من سور القرآن وما لاقياه من قومهما من الإعراض والاستكبار ، وكيف قابلا قومهما بالقول الطيب والخطاب الجميل وعدم مقابلة الشر بمثله ، فعندما رموا هوداً بالسفه رد قائلاً :((قَالَ

---

[١] -تهذيب مدارج السالكين ، عبدالله بن علي ،ص٣٩٨.

[٢] -تهذيب مدارج السالكين ، عبد الله بن علي ،ص٣٩٨.

[٣] -البداية والنهاية ، لابن كثير ، ١١٣/١ -١٢٣.

يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ(٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠لَكُم نَاصِحٌ أَمِينٌ)){الأعراف:٦٧ -٦٨}.

يقول سيد قطب:(لقد نفى عن نفسه السفاهة في بساطة وصدق كما نفى عن نفسه الضلالة وقد كشف لهم كما كشف نوح من قبل عن مصدر رسالته وهدفها، وعن نصحه لهم فيها وأمانته في تبليغها وقد قال لهم ذلك في مودة الناصح وفي صدق الأمين) [1]

وكان رد نبي الله صالح عليه السلام على قومه كذلك :((قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْه رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ)) {هود:٦٣} كما أعرض عنهم وتجاوز عندما قالوا له:((إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ)) {الشعراء:١٥٣}

قال الزمخشري في تفسيره:(وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم ، مع علمهم أن خصومهم أضل الناس وأسفههم في إجابة الأنبياء ، هذا أدب حسن وخلق عظيم ، وحكاية الله عز وجل عن ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ، ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم) [2]

[1] -في ظلال القرآن ،٣/٢٤٢.

[2] -الكشاف ، ٢/١١٩.

المطلب الثالث

القول الحسن مع المخالفين

حدد الله هوية الأمة المسلمة أنها أمة عقيدة ودعوة وأن علاقاتها بغيرها من الأمم على اختلاف ألوانها ، ولغاتها وأديانها ليست في حقيقتها علاقة سلم ولا حرب ، ولا دفاع ولا هجوم وإنما هي علاقة دعوة.

قال تعالى:((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنَ)){النحل:١٢٥} ففي هذه الآية الأمر بالدعوة إلى الإسلام والمجادلة بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فضاضة ولا تعنيف.[١]

وجاء عند السعدي :(أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم ، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده)[٢]

قال تعالى:((وَلَاتُجَٰدِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)){العنكبوت:٤٦} ففي هذه الآية الحث على القول الحسن مع المخالفين من أهل الكتاب ومجادلتهم بالطريقة الحسنى من الرفق واللين ، فالخشونة في الكلام تضر ولا تنفع .

ومن صور الحسنى : التذكير بنقاط الاتفاق كما قال تعالى :((وَقُولُوا ءَامَنَّا بِٱلَّذِى أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)) أي وقولوا في مناظراتكم لهم : نحن مؤمنون بالقرآن ومؤمنون بالتوراة و الإنجيل ، وإلهنا وإلهاكم واحد ، فينبغي أن يكون بين أهل الأديان التفاهم لا الخصام والقتال ، وهذا يشمل من لم يكابر منهم ويظهر عداوته.[٣]

ومن صور القول الحسن مع المخالفين عدم اكراههم على اعتناق الإسلام قال تعالى :((لَاإِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ)) {البقرة:٢٥٦}

---

[١] -ينظر تفسير البغوي ، ص٧٢٣. تفسير الآلوسي ، ٦٥٨/١٤.

[٢] -تفسير السعدي ، ص٤٥٢.

[٣] -ينظر : أضواء البيان ، للشنقيطي ، ٢٠٦/٢. التفسير الميسر ، للصابوني ، ص٩٩١ .

يقول القرطبي عند تفسيره لهذه الآية : كان المسلمون يعرضون الإسلام على غير المسلمين دون إكراه ، ولا إلزام ، بل كان ذلك من أجل الإعذار إلى الله في إبلاغ الحق ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعجوز نصرانية : أسلمي أيتها العجوز تسلمي ، إن الله بعث محمداً بالحق ، قالت : أنا عجوز كبيرة ، والموت إلي أقرب ، فقال عمر : اللهم اشهد وتلا قوله تعالى :((لَاإِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَدتَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ))[1]

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحاور المخالفين بلين الجانب والهدوء التام ، فهذا عتبة بن ربيعة ، والذي كان سيداً من سادات قومه ، طلب من قومه أن يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرض عليه أموراً فأذنوا له ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس ، وبدأ بالحديث مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال :((قل يا أبا الوليد)) والتفت إليه بهدوء تام ، حتى انتهى من كلامه ، ثم قال:((أقد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال: نعم.[2]

(فهذه أخلاقه مع خصومه وأعدائه ، ومنه نتعلم كيف نواجه الخصم بهدوء تام ، وقوة تحكم في المشاعر والأحاسيس ، وقسمات الوجه وتعبيراته ، وعدم الإنفعال والغضب بل علمنا كيف نحاور خصومنا بهدوء ، ونستمع إليهم بإنصات حتى إذا انتهوا من كلامهم نبدأ بتوضيح فكرتنا)[3]

جاء في كتاب حضارة العرب:(إن المسلمين وحدهم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو اتباع الأديان الأخرى ، وإنهم مع امتشاقهم الحسام نشراً لدينهم ، تركوا من لم يرغبوا فيه أحراراً في التمسك بتعاليمهم الدينية)[4]

وقال الدكتور نظمي لوقا:(ما أرى شريعة أدعى للإنصاف ولا أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول:((وَلَايَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّاتَعْدِلُوا)) {المائدة:٨}[5]

((إن الدعوة إلى الله تحتاج أشد الاحتياج إلى التلطف ماذا علينا لو أخذنا نوسع دائرة الذين يعملون للإسلام ، ويعكفون على قيمه وتراثه وتاريخه، وماذا علينا لو قلنا ببساطة الحق دون أن يخرجنا الحماس عن وعينا ولا أن يوقعنا في مصايد ينصبها لنا خصومنا)).[6]

---

[1] -تفسير القرطبي ، ٢٨/٣.

[2] -السيرة النبوية ، لابن هشام ، ٣٠٥/١.

[3] -العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية ، د/ علي محمد الصلابي ، ص٥٩.

[4] -حضارة العرب ، لفوستافلويون ، ص١٢٨ ، ترجمة :عادل زعيتر.

[5] -محمد الرسالة والرسول ، نظمي لوقا ، ص٢٦.

[6] -محاضرات الشيخ محمد الغزالي في اصلاح الفرد والمجتمع، ص٢٥٦ -٢٥٧

المبحث الثالث

ثمار القول الحسن

للقول الحسن ثماره المتعددة في العاجلة والآجلة، ويحتوي هذا المبحث على ذكر بعض تلك الثمار.

المطلب الأول :تحقيق الأخوة ونبذ الفرقة :

من مقاصد الإسلام التي يحرص عليها ويدعو المسلمين إليها وحدتهم وأخوتهم الإيمانية ، ولهذا يحذر من كل ما من شأنه إحداث الفرقة والعداوة فيما بينهم ، كالتخاطب بالكلام الخشن المؤذي الذي قد يؤدي إلى الخصومة والعداوة ، ويأمرهم بدلا من ذلك بالتخاطب بالكلام الحسن والكلمة الطيبة ، ولا يكتفي الإسلام بذلك بل يأمر بالدفع بالتي هي أحسن عند حدوث ما قد يؤدي إلى الفرقة ، فيأمر بالعفو عن المسيء والصفح عنه ومقابلة اساءته بالإحسان إليه.

يقول المولى عز وجل:((خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ)) {الأعراف:١٩٩}

العفو في اللغة : الفضل وما يأتي من الناس من غير كلفة ، ويدخل في مفهوم:((خُذِٱلْعَفْوَ)) المساهلة والمسامحة في الحقوق الشخصية للإنسان ، فلا ينبغي أن يتشدد صاحبها في استيفائها ، ويدخل أيضاً في مفهوم:((خذ العفو)) دعوة الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف [١]

وقوله تعالى:((وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ)) أي بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ومنها معاملة الناس بالحسنى والرفق ، وقوله تعالى:((وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ)) لما كان الناصح لغيره كالمعرض لعداوتهم ، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء لهذا الناصح الأمين فعليه في هذه الحالة الإعراض عنهم ، فلا يقابلهم بالمثل بل يحلم عنهم ، ويعفو عنهم ويصبر على أذاهم ، وهذا الأسلوب من المعاملة هو الأسلوب النافع الذي يؤمل أن يكفهم عما هم فيه من التمرد والإيذاء لناصحهم [٢]

ويقول تبارك وتعالى :((وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ(٣٤)وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)){فصلت:٣٤}

---

[١] تفسير الرازي ، ٩٥/١٥ -٩٦.

[٢] ينظر : تفسير الرازي ، ٩٦/١٥ . تفسير القاسمي ، ٢٢٥/٧.

قال ابن جرير الطبري:((ولا تستوي الحسنة ولا السيئة)) ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته ، وقوله :((ادفع بالتي هي أحسن)) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم _والأمر له ولأتباعه_ ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك وبعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء ، وبصبرك عليهم من ما تجد ويلقاك من قبلهم ، ((فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم)) يقول تعالى ذكره افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه ، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفته إياك ، وبره للك من بني أعمامك ، قريب النسب بك ، والحميم : هو القريب.[1]

((وما يلقاها إلا الذين صبروا)) على كظم الغيظ واحتمال المكروه ، ((وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)) في الخير والثواب.[2]

المطلب الثاني

الاستجابة وسرعة الانقياد

لابد للمربي الذي يريد إقبال الناس على قبول دعوة الحق أن ينهج طريق اللطف في القول وأن يختار أحسن الكلمات والعبارات.

إن أسلوب التحدي ولو بالحجة الدامغة ، يبغض صاحبه للآخرين فيجب التلطف لأن كسب القلوب أولى من المواقف.[3]

ولما للقول الحسن من تأثير واستجابة يقول السعدي:(فهو السبب الوحيد المثمر للثمرات الجليلة للدعوة إلى سبيله يقول تعالى:((ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ))﴿النحل:١٢٥﴾ فالحكمة وضع الدعوة في موضعها ، ورعاية كل أحد بحسب ما يليق بحاله ويناسبه ويكون أقرب لحصول المقصود منه و((الموعظة الحسنة)) البالغة في الحسن مبلغاً يصير لها من التأثير وسرعة

---

[1] -تفسير الطبري ، ١١١/١١.

[2] -تفسير البغوي، ص١١٥٢.

[3] -كيف ندعو الناس ، عبد البديع صقر ،ص١١.

الانقياد ما يناسب مقتضى الحال و((والمجادلة بالتي هي أحسن)) بالعبارات الواضحة والبراهين البيئية التي تحقق الحق و تبطل الباطل ، مع الرفق واللين وعدم المغاضبة والمشاتمة)[1]

ولننظر في ثناء الله عز وجل فيما قصه عن مؤمن آل ياسين حين أراد دعوة قومه إلى عبادة الله عز وجل يقول تعالى:((وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) {يس:٢٢} فإنه أراد تقريع المخاطبين ، إذ أعرضوا عن عبادة خالقهم ، وعكفوا على عبادة ما لا يغني عنهم شيئاً ، فأورد الكلام في صورة الإنكار على نفسه ، تلطفاً في الخطاب وإظهاراً للخلوص في النصيحة حيث اختار لهم ما يختار لنفسه.[2]

إن استعمال الألفاظ الرقيقة تساعد على إقبال من تدعوه وتحدثه وإصغائه لما تقول .

روى أبو أمامة أن غلاماً شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنى ، فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((قربوه ، ادن مني)) فدنا حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :((أتحبه لأمك؟)) قال : لا جعلني الله فداك ، قال:((كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟))

قال: لا جعلني الله فداك ، قال:((كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، قال: أتحبه لأختك ؟)) قال : لا جعلني الله فداك ، قال:((كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم)) وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول : لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول :((كذلك الناس لا يحبونه)) حتى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال :((اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه)) فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء.[3]

والمتأمل في ذلك الهدي النبوي يجد أثر الموعظة الحسنة كيف تصيب شغاف القلوب فتحدث القناعة وسرعة التأثير والاستجابة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد تقويم خطأ ما قد يكون من شخص أو أشخاص فإنه لا يواجههم به مباشرة وإنما يقول :((ما بال أقوام قالوا كذا وكذا))[4]

---

[1] -تفسير السعدي ، ص٤٥٢.

[2] -سوء الخلق ، مظاهره ، اسبابه ، علاجه ، محمد بن إبراهيم الحمد ، ص١١٦.

[3] -مسند أحمد ، ٢٥٦/٥.

[4] -رواه البخاري ، كتاب النكاح ، ٣٥٤/٣ ، رقم (٥٠٦٣) . ورواه مسلم ، ١٠٢٠/٢.

إن الموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق ، وتتعمق المشاعر بلطف لا بالزجر ولا بالتأنيب في غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو عن حسن نية ، فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ، ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ [١]

إن اختيار أحسن الألفاظ قد يحول الخصم إلى صديق ، والرافض إلى موافق ، والمحتار إلى مطمئن [٢]

المطلب الثالث

هزيمة الشيطان وجنده

يحرص الشيطان على إيقاد الفتن وإذكاء العداوة بين بني آدم عموماً وبين المسلم و أخيه المسلم خصوصاً ، وسلاحه السيء من القول لذا أمر المولى عز وجل بتحري أحسن الأقوال وتجنب سيئها ، يقول تعالى: ((وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا)) {الأسراء:٥٣}

ورد في سبب نزول هذه الآية : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شتمه رجل من العرب فأمره الله بالعفو .

وقال الكلبي : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى الآية. [٣]

يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :((وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن...)) يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن ، والكلمة الطيبة ، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم ، وأخرج الكلام إلى الفعال ، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة ، فإنه عدو لآدم وذريته من حين امتنع عن السجود لآدم ، وعداوته ظاهرة بينة. [٤]

---

[١] -في ظلال القرآن ، ٢٢٠٢/٤.

[٢] -فن التعامل مع الناس ، ديل كارينجي ، ص٢٧ ، ترجمه إلى العربية : سالم أحمد ذيبان .

[٣] -أسباب النزول ، لأبي الحسن علي الواحدي ، ص٢٤٣.

[٤] -تفسير ابن كثير ، ٣١٩/٤ .

((إن الشيطان ينزغ بينهم)) أي يسعى بين العباد بما يفسد عليهم دينهم ودنياهم ، فدواء هذا أن لا يطيعوه في الأقوال غير الحسنة التي يدعوهم إليها ، وأن يلينوا فيما بينهم ، لينقمع الشيطان الذي ينزغ بينهم فإنه عدوهم الحقيقي(ليكونوا من أصحاب السعير)الذي ينبغي لهم أن يحاربوه فإنه يدعوهم إلى ذلك.[1]

ويقول تعالى:((وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) {الأعراف:٢٠٠}

يقول القاسمي في تفسيره : ومعنى الآية:(إما يصيبنك من الشيطان وسوسة تثير غضبك على جهل الجاهلين وإساءتهم ، وتحملك على خلاف ما أمرك به الشرع من العفو عنهم مع الاستمرار على أمرهم بالمعروف (فاستعذ بالله) أي استجر به و ادعه لدفع الشيطان عنك ، إنه سميع لدعائك عليم باستعاذتك)[2] ولأثر الوقوف على المنهج القرآني في قمع النفس الأمارة بالسوء التي يدخل الشيطان من قبلها أسوق هذا النموذج الذي أورده ابن كثير فقال : خرج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه يوماً من المسجد فسبه رجل ، فانتدب الناس إليه فقال:(دعوه ، ثم أقبل عليه ، فقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر ، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحيا الرجل ، فألقى إليه خميصة كانت عليه ، وأمر له بألف درهم ، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول : إنك من أولاد الأنبياء)[3]

المطلب الرابع

محبة الله للمحسنين وجزيل مثوبتهم.

أخبر المولى سبحانه وتعالى بمحبته للمحسنين في القول والعمل وجازاهم على ذلك بالخير في الدنيا ورفعة المقام في الآخرة.

يقول تبارك وتعالى :((وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ)){النحل:٣٠}

((للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)) مكافأة في الدنيا بإحسانهم،ولهم في الآخرة ما هو خير منها [4]

---

[1] -تفسير السعدي ، ص٤٦٠.

[2] -تفسير القاسمي ، ٢٦٦/٧ -٢٢٧.

[3] -البداية والنهاية ، ١٠٥/٩.

[4] -الكشاف ، ٥٦٤/٢.

ذكر السعدي في تفسيره لهذه الآية :(لما ذكر الله قيل المكذبين بما انزل الله ، ذكر ما قاله المتقون ، وأنهم اعترفوا و أقروا بأن ما انزله الله نعمة عظيمة وخير عظيم امتن الله به على العباد ، فقبلوا تلك النعمة ، وتلقوها بالقبول و الانقياد ، وشكروا الله عليها ، ((للذين احسنوا))في عبادة الله تعالى ، وأحسنوا إلى عباد الله فلهم ((في هذه الدنيا حسنة)) رزق واسع وعيشة هنية ، وطمأنينة قلب و أمن و سرور ، ((ولدار الآخرة خير)) من هذه الدار ، وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات ، فإن هذه نعيمها قليل محشو بالآفات متقطع ، بخلاف نعيم الآخرة ، ولهذا قال:((ولنعم دار المتقين)) الذي يعطيهم الله فيها كل ما تمنته أنفسهم ، وتعلقت به إرادتهم ، وذلك جزاء اتقائهم لسخط الله وعذابه ، بأداء ما أوجبه عليهم من الفروض والواجبات المتعلقة بالقلب والبدن واللسان ، من حقه وحق عباده وترك ما نهاهم الله عنه) [1]

ولننظر إل ثمرة القول الحسن فيما اعطى الله تبارك وتعالى عباده الربانيين من المحبة والثواب العظيم في الدنيا والآخرة: يقول تعالى:((وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا ٱسْتَكَانُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ(١٤٦)وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ(١٤٧)فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ)){آل عمران:١٤٦ -١٤٨}

يقول صاحب الظلال :(إنهم لم يطلبوا نعمة و لا ثراء ، بل لم يطلبوا ثواباً ولا جزاء .. لم يطلبوا ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة ، لقد كانوا أكثر أدباً مع الله ، وهم يتوجهون إليه بينما يقاتلون في سبيله فلم يطلبوا منه سبحانه إلا غفران الذنوب ، وتثبيت الأقدام .. والنصر على الكفار ، فحتى النصر لا يطلبونه لأنفسهم إنما يطلبونه هزيمة للكفر وعقوبة للكفار .. إنه الأدب اللائق بالمؤمنين في حق الله الكريم ، وهؤلاء الذين لم يطلبوا لأنفسهم شيئاً ، أعطاهم الله من عنده كل شيء ، أعطاهم من عنده كل ما يتمناه طلاب الدنيا وزيادة ، أعطاهم كذلك ما يتمناه طلاب الآخرة ويرجونه) [2]

جاء في الحديث الذي رواه أحمد قول النبي صلى الله عليه وسلم :((إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ... فقال أبو موسى لمن هي يا رسول الله ؟ قال لمن ألآن الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائماً والناس نيام)) [3]

---

[1] - تفسير السعدي ، ص٤٣٩.

[2] - في ظلال القرآن ، ٤٨٩/١.

[3] - مسند أحمد ، ١٨٦/١١ ، رقم ٦٦١٥.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابته أجمعين أما بعد :

فهذه خلاصة البحث وأهم النتائج :

- القول الحسن هو خطاب القرآن لبناء حضارة راقية تقوم على مبدأ التكافل والتعاون .

- لا شيء يغرس الحب في القلوب كالإحسان ، فقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها .

- القول الحسن القدر الذي يمكن معاملة جميع الناس به.

- للقول الحسن ضوابط منها : البعد عن التكلف ، مع اقتران القول بالعمل ، مراعاة أحوال المخاطبين.

- يجب التأسي بمنهج القرآن الكريم في حسن الخطاب حتى مع ألد الأعداء.

- ليس هناك تعارض بين الإحسان بالقول إلى جميع الناس ، وبين الأمر بإغلاظ القول للمنافقين وحرب الكافرين المحاربين ، فالقول الحسن الذي أقصده في هذا المقام هو المداراة التي لا تؤدي إلى نقصان دين أو مروءة.

- للقول الحسن ثمار منها : تحقيق الأخوة ، الاستجابة ، هزيمة الشيطان وجنده ، محبة الله للمحسنين وجزيل مثوبتهم.

<u>قائمة المصادر والمراجع</u>

- ❖ - القرآن الكريم.
- ❖❖ - كتب التفسير وعلوم القرآن:

١ - أسباب النزول ، لأبي الحسن علي الواحدي ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨م.

٢ - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٣ - أيسر التفاسير ، لأبي بكر جابر الجزائري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٤ - تفسير الآلوسي : روح المعاني ، لأبي الفضل محمد الآلوسي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م.

٥ - تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م.

٦ - تفسير الرازي : التفسير الكبير ، لفخر الدين الرازي ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧م.

٧ - تفسير السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م

٨ - تفسير الطبري : جامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٩م.

٩ - تفسير القاسمي ، محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨م.

١٠ - تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي ، ١٩٦١م.

١١ - تفسير ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار الفكر، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٠م.

١٢ - تفسير الكشاف ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار احياء التراث ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠١م.

١٣ - التفسير الواضح الميسر ،لمحمد بن علي الصابوني ، الأفق للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٥ ، ٢٠٠٣م.

١٤ - تفسير ابن عاشور : التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، دار سحنون ، تونس ، بدون ط.

❖❖ كتب الحديث :

١٥ - سلسلة الاحاديث الصحيحة ، لأبي عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٦ - سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، مكتبة البابي الحلبي ، مصر ، ط٢ ، ١٩٧٨م.

١٧ - صحيح البخاري ، للإمام أبي عبدالله بن اسماعيل البخاري ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٧.

١٨ - صحيح الجامع ، لأبي عبدالرحمن محمد بن ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، بدون ط .

١٩ - صحيح مسلم بشرح النووي ، محيي الدين يحيى بن شرف ، ط٢ ، ١٩٧٢ .

٢٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ، دار احياء التراث ، بيروت ، بدون ط.

٢١ - مسند أحمد ، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي + دار....، بيروت ، بدون ط .

❖❖ كتب متنوعة :

٢٢ - أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي ، دار مكتبة الحياة ، بدون ط ، ١٩٨٦م.
٢٣ - البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥م.
٢٤ - بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٣م.
٢٥ - تهذيب مدارج السالكين ، لابن قيم الجوزية ، تهذيب عبدالمنعم صالح العلي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٧م.
٢٦ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٣٩٧هـ .
٢٧ - حضارة العرب ، لفوستافلويون ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦م.
٢٨ - الرائد : دروس في التربية والدعوة ، لمازن عبدالكريم الفريح ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.
٢٩ - سوء الخلق ، مظاهره ، أسبابه ، علاجه ، لمحمد بن إبراهيم الحمد ، وزارة الشؤون الإسلامية ، الرياض ، ط١ ، ١٤٢٥هـ .
٣٠ - السيرة النبوية ، لأبي محمد عبدالملك بن هشام ، دار الفكر ، القاهرة ، بدون ط.
٣١ - العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وانسانية ، د/ علي محمد الصلابي ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠١٤م.
٣٢ - فن التعامل مع الناس ، لديل كارينجي ، ترجمه إلى العربية سالم أحمد ذيبان ، الجيل الجديد ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
٣٣ - الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م.
٣٤ - الكليات : معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٣م.
٣٥ - كيف ندعو الناس ، عبدالبديع صقر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٦.
٣٦ - لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي ، دار صادر ، بيروت ، بدون ط.
٣٧ - محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع ، دار البشير للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون ط.

٣٨ - محمد الرسالة والرسول ، نظمي لوقا ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٥٩م.

٣٩ - المستطرف في كل فن مستطرف ، لبهاء الدين محمد بن أحمد الأشبهي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.

جامعة الناصر
AL-NASSER UNIVERSITY